

الجالليات العربية والإسلامية

في إفريقيا

*

عبدالرحمن أحمد عثمان

يهدف هذا البحث لابرز حجم الجالليات العربية والإسلامية في إفريقيا والتعرف على أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، التاريخية منها والمعاصرة بغرض الوقوف على امكانية الاستفادة من هذه الجالليات في دعم أواصر العلاقات العربية والإفريقية لخلق نوع من التعاون التكاملي والتنسيق في القضايا المصرية لإثراء حوار الجنوب. وفي هذا الإطار يقدم هذا البحث عرضا موجزا لتاريخ الجالليات العربية والإسلامية من خلال الإسهام الذي قدمته هذه الجالليات التي وفدت إلى القارة الإفريقية في مختلف العصور.

يركز البحث على منطقتي شرق إفريقيا وغرب إفريقيا باعتبار أنهما تضمان أكثر من ثمانين بالمئة من سكان إفريقيا من غير العرب فيبحث قضايا الجاليات العربية العمانية واليمينية والسودانية في شرق إفريقيا كما يتطرق للجالليات اللبنانية والمغاربية والمصرية في غرب إفريقيا فيستوضح أوضاعهم الاقتصادية والثقافية والسياسية منذ وفودهم وتبدل أوضاعهم مع تبدل الإدارات الحاكمة قبل وبعد الاستقلال.

ويتناول القسم الثاني من البحث موضوع الجالليات الإسلامية في إفريقيا (لاغراض هذا البحث فان مصطلح الجالليات الإسلامية يعنى الجالليات العربية وغير العربية التي هاجرت بعد البعثة النبوية وامتزجت بالمصاهرة مع المجتمع الإفريقي، ويدخل في هذا الاطار الذين تأثروا بهم ثقافيا واجتماعيا ودينيا فاعتنقوا الإسلام وأصبحوا يدعون النسب العربى حقيقة كان أم وهم) فيتعرض لأوضاع المعاصرة، أعدادهم ونسبتهم إلى مجتمعاتهم ومشاكلهم السياسية والثقافية والتعليمية وصلتهم بالعالم العربى والإسلامى ويقترح بعض الحلول لمشاكلهم.

ويختتم البحث بتقييم عام لامكانية الاستفادة من الجالليات العربية والمسلمة في إفريقيا في دعم التعاون بين الكتلتين العربية والإفريقية.

* أستاذ باحث بجامعة إفريقيا العالمية

تأريخ الجاليات العربية في إفريقيا : (الرواد والمؤسسون)

لا شك في أن تاريخ استيطان العرب في إفريقيا على شكل جاليات صغيرة أسهمت في الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية، يمتد إلى الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام وقد استأثرت شرق إفريقيا باحتضان الجاليات العربية الأولى وذلك لعوامل القرب الجغرافي والرياح الموسمية التي كانت تساعد العرب على الملاحة في المحيط الهندي وقد ورد في كتاب دليل الملاحة في البحر الارترى The perplus of the Ertherian Sea وهو أول وأهم وثيقة أصلية ظهرت في مستهل القرن الثاني الميلادي وتناولت وصفا للمدن والمجتمعات التجارية القائمة على ساحل شرق إفريقيا. ورد في هذا الكتاب «أنه كان من المألوف رؤية التجار والملاحين العرب في مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا حتى رهابتا (على ساحل شمال تنزانيا المعاصرة) كما أشار إلى أن هذه المنطقة كانت خاضعة لحكم أمير معافر من اليمن يتبع إداريا لجنوب الجزيرة العربية وقد استقر التجار العرب بين سكان رهابتا واختلطوا بهم وتحذثوا لغتهم وكانوا يجلبون إلى المنطقة الحراب والفؤوس والمحارز ومختلف أنواع الزجاج فضلا عن كميات من القمح لتأمين رغبة المواطنين وكانوا يستبدلون هذه البضائع بالعاج وعظام ظهور السلاحف وزيت النخيل»^(١) وبالطبع فإن هذه أول جالية عربية ذات أثر فعال في مسار العلاقات العربية الإفريقية السياسية والثقافية والاقتصادية.

أما أول جالية عربية تستوطن إفريقيا بعد ظهور الإسلام فقد كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فعندما عذب المسلمون الأوائل على يد كفار قريش بمكة المكرمة نصحهم الرسول ﷺ بالجوء إلى الحبشة قائلا لهم «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه». ^(٢) ففي السنة الخامسة لبعثة النبي تمت أول هجرة في الإسلام إلى اثيوبيا. حيث رحب ملكها المعروف في المصادر العربية باسم النجاشي بالفوج الأول من المهاجرين بقيادة جعفر ابن أبي طالب ومصعب بن عمير وقد عرف هؤلاء المهاجرون فيما بعد بالمهاجرين الأوائل، ثم ما لبث أن استقبلت الحبشة فوجا جديدا من هؤلاء المسلمين «الهجرة الثانية» وتقدر المصادر مجموع هؤلاء المسلمين المهاجرين بستائة مسلم امتدت هجرتهم الأولى والثانية في اثيوبيا إلى نحو ستة عشر عاما. ^(٣) ومهما يكن الرأي حول تلك المعلومات التي تشير إلى إسلام النجاشي وصلاة النبي عليه صلاة الغائب فإن تلك المدة التي قضتها تلك الجالية العربية لم تترك أثرا تذكره مصادر التاريخ لانتشار الإسلام في تلك البلاد لقلّة أعداد المهاجرين ولقصر مدة إقامتهم.

توالى بعد ذلك هجرة العرب المسلمين إلى مختلف انحاء إفريقيا شرقها وغربها وسيكون مضجرا بل ومستحيلا تناول تلك الهجرات وما نجم عنها من استقرار جاليات عربية في نواح مختلفة من إفريقيا إلا أنني أود أن أشير في هذا المقام إلى بعض الجاليات العربية التي كانت عبارة عن ظاهرة التجاء سياسى . فالمجموعة التي هاجرت فارة من وجه خصومها السياسيين كانت ذات أثر فعال في نشر الإسلام وتوطيد العلاقات الثقافية بين العالمين العربى والإفريقى لا سيما أن استقرار هؤلاء اللاجئين السياسيين بين ظهرانى مضيفهم من القبائل الإفريقية هيا لهم فرصة التزاوج والانصهار. فقد أمدت أحداث الفتنة الكبرى القارة الإفريقية بمجموعات كبيرة من الذين خسروا الصراع وكانوا في الغالب من الخوارج والشيعية . فقد تكاثرت أعداد الأوائل في شمال إفريقيا وبالاخص الخوارج الصفرية الذين نادوا بعدم اقتصار الخلافة على العرب واعلنوا الثورة بعد مبايعتهم لميسرة الضفرى وعمت الثورة بلاد المغرب واشترك فيها المثلثون وجاوزت أطراف الصحراء^(٤) كما كانت لهجرات اباضية عمان إلى شرق إفريقيا متمثلين في هجرة ابناء عباد بن عبد الجندى ٦٩٥م أثر فعال في انتشار الإسلام في شرق إفريقيا.

فعندما فرغ الامويون من القضاء على ثورة عبدالله بن الزبير فكروا في السيطرة على عمان فدخلوا مع ابني عبد الجندى في حرب ضروس فدارت دائرة الحرب على الجنديين فحملا ذراريها ومن معهم من قومهم ولحقا ببلاد الزنج.^(٥)

أما الشيعة (الطرف الثاني الخاسر في الفتنة الكبرى) فتشير المخطوطات المحلية في إفريقيا (مخطوطة كلوة)^(٦) والروايات المتداولة في شرق إفريقيا إلى هجرة قام بها الزيديون الذين وصلوا إلى ساحل شرق إفريقيا في عام ١٢٢هـ/ ٧٣٩م إثر إنقسام حدث في صفوف الشيعة نتيجة، لما لاقاه الزيديون من اضطهاد على أيدي الأمويين ويروى البعض أن سلالة زيد هذه كانت أول من انحدر إلى الساحل مستندين في ذلك إلى أحد الكتب التاريخية التي وجدت مكتوبة باللغة العربية عثر عليه البرتغاليون في مدينة كلوة عندما اجتاحتها دون فرانسيسكو في عام ١٥٠٥م جاء فيه: «أن جماعة وفدت على هذا الساحل كان سبب هجرتها اضطهاد الزيدية على أيدي الأمويين» ويستدل على ذلك بان جالية كبيرة من العرب تعرف بالاموزيدج وهي تحريف سواحيلي لكلمة الزيدية وليس ببعيد أن زيدا الذى انتسبت إليه تلك الجماعة هوزيد بن على حفيد الحسين بن على ابن بى طالب الذى أشعل ثورة للشيعة وهزم وقتل مما أدى إلى فرار جماعة من أتباعه للساحل الشرقى لإفريقيا.^(٧)

كما هاجرت مجموعة من الاخوة عرفت فيما بعد بهجرة الاخوة السبعة من عاصمة القرامطة مع مؤيديهم في مجموعة من السفن في حوالى عام ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م فرارا من استبداد حاكم

الاحساء في منطقة الخليج العربي .

أما أكبر الهجرات وأبعدها أثرا في تاريخ الساحل الشرقي والتي نشأت عنها سلطنة بسطت سيطرتها على الساحل من سوفا لا إلى مقديشو فهي هجرة علي بن الحسن الشيرازي ، وتتضارب الروايات التي تتعلق بهذه الهجرة لتعدد مصادرها فهي متداولة في الأدب الشفاهي كما وجدت في سجلات كلوة وفي الكتب التاريخية التي الفت في القرون الوسطى^(٨) ويمكن تلخيص أخبار هذه الهجرة في أن أميرا شيرازيا يدعى الحسن بن علي رأى رؤية ازعجته مفادها أنه رأى فارة ذات خرطوم من حديد تقرض جدران قصره فتشاءم من هذه الرؤيا وتحقق تشاؤمه بظهور طغرل بك السلجوقي ففر الشيعة الشيرازيون وذلك في نحو النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي واتجهوا بسفنهم إلى كلوة حيث استقر بهم المقام . ويقال أنهم اشتروها من صاحبها الزنجي بأطوال من القماش الملون كافية لأن تلف حوها . وبعد مدة من الزمن تمكن هؤلاء المهاجرون من تأسيس مدينة كلوة التي أصبحت مركزا لامبراطورية الزنج الإسلامية .

لم ينفرد الشيعة والخوارج بفضل الهجرة وانشاء الجاليات العربية في إفريقيا بل ساهم الأمويون أنفسهم في نقل الثقافة الإسلامية والعربية الى تلك الربوع وشاركوا في هذا الشرف عندما تجرعوا نفس الكأس التي سقوها لمخالفهم السياسيين باستيلاء العباسيين على مقاليد الحكم في بغداد . لقد فر الأمويون ليأسسوا جاليات عربية خارج نفوذ الدولة العباسية كلاجئين سياسيين في إفريقيا ولكنهم اختاروا في هذه المرة شمال إفريقيا وغربها وتبدو هذه الظاهرة بجلاء فيما فعله عبدالرحمن الداخل (صقر قريش) .

تكونت الجاليات الأموية في غرب إفريقيا مبكراً عندما لجأت إلى هناك مجموعات من الجنود الأمويين الذين خسروا المعارك الأولى في شمال إفريقيا ويذكر لنا البكري الذي عاصر نشأة إمبراطورية غانا الإسلامية ذلك قائلاً «وببلاد غانا قوم يسمون بالهنيهيين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية انفذوه إلى هناك في صدر الإسلام وهم على دين أهل غانا إلا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم وهم بيض الألوان حسان الوجوه»^(٩) .

كما يذكر لنا البكري نفسه أن من بين أهل ادغست جاليات عربية ومهاجرين من مقازة القيروان . كما يذكر هذا ياقوت الحموي في معجم البلدان ويسانده البكري مبيناً أن قوما من بنى أمية هاجروا إلى كانم أيام محتهم على عهد العباسيين وأن جنوداً منهم جاءوا إليها عن طريق اليمن^(١٠) .

وتشير كثير من المصادر التاريخية إلى أن أصل ملوك الفونج من بنى أمية نزحوا ابتداء إلى الحبشة وتبعهم العباسيون وخاطبوا في شأنهم حاكم الحبشة فاضطر الأحباش للتخلص منهم

إلى المناطق المتاخمة واستبدل المؤرخون على ذلك من الرسائل المتداولة بين عمارة دنقس ومحمد ودبادى عجيب الى السلطان سليم وبنى أمية المقيمين بدنقلا. (١١)

وبالطبع فإن كل هذه الجاليات سواء أكانت شيعية أم خوارج أم أمويين قد أسهمت في وضع اللبنة الأولى لجذور العلاقات العربية الإفريقية في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية بما يتضمن ذلك الاتجار والانعاش الاقتصادي وإقامة الدويلات الإسلامية ونشر الإسلام واللغة العربية الأمر الذي دفع الامراء والملوك الأفارقة لإقامة فريضة الحج التي وثقت العلاقات بين العرب والأفارقة. وقد كانت آخر هجرات المرحلة الأولى في غرب إفريقيا ذات أثر ثقافي مباشر وبقا إلى يومنا هذا هي هجرة عرب الشوى، ففي القرن الخامس عشر انتهت موجة الهجرات العربية الوافدة من مصر والسودان من إقليم بحيرة شاد وانتشر العرب في الجزء الشمالي من ممالك كانم ووداي وبرنو ويوجد هؤلاء العرب اليوم في شمال شاد وشمال الكمرون ونيجيريا والنيجر ويعرفون بعرب الشوى (أى البدو الرحل) ولا يزال هؤلاء الأعراب يحافظون على لغتهم العربية التي تمثل إحدى اللهجات العربية المهمة في تلك المنطقة كما يحافظون على تقاليدهم وثقافتهم العربية وقد اختلطت هذه المجموعات العربية بموجة الهجرات البرية الوافدة من المغرب ويغلب على تلك المجموعات البرية استعمال اللغة العربية وتوجد هذه المجموعات البرية المستعربة والعربية الآن في شمال نيجيريا والنيجر ومالي وأجزاء من أقطار غربى إفريقيا الباقية وقد شاهدت مجموعة منهم حول مايدغرى عاصمة الإقليم الشمالى الشرقى في نيجيريا وهم يتحدثون اللغة العربية بطلاقة وقد ساهمت كلية الكانمى الإسلامية في صقل ألسنتهم فاصبحوا لا يختلفون عن متحدثى العربية في القاهرة أو بغداد إلا من حيث جرس الكلمة.

هجرات العمانيين واليمنيين إلى شرق إفريقيا:

لقد تلت هذه المرحلة مرحلة جديدة ابتدأت في شرق إفريقيا من تاريخ زوال الوجود البرتغالى في أوائل القرن الثامن عشر وعودة النفوذ العربى إلى المنطقة من جديد حيث تمكن اليعربيون (العمانيون) من طرد القوة البرتغالية وامتدت المنطقة السواحيلية بدماء عربية جديدة وبمفردات لغوية جديدة فهناك العديد من الأسر العربية التي وفدت إلى الساحل الشرقى لإفريقيا في العهدين اليعربى والبوسعيدى (١٧٠٠/١٨٩٠) وقد احتفظت هذه المجموعات ببعض المميزات الفيزيائية التي تميزهم عن بقية سكان شرق إفريقيا رغم حركة التزاوج والانصهار التي حدثت مع الأفارقة مثل الاستقامة النسبية في شكل الانف والتجعد في الشعر والسمر التي اشربت بسواد الأفارقة. وتشكل هذه المجموعات من عائلات معروفة

في تاريخ الساحل كآل بوسعيد في تنزانيا والمزاريع في كينيا وعوائل الأشراف والعلماء الحضارمة مثل آل حسين وآل حديد وبعلاوى وآل جمال الليل وغيرها وقد احتفظت هذه العائلات نسبياً بأصولهم العرقية والثقافية إلا أنهم اندمجوا في المجتمع لدرجة أن لغتهم الرئيسية أصبحت هي اللغة السواحيلية وتوجد العديد من أمثال هذه العائلات في زنجبار ودار السلام ودودما وطابورا واوجيجي وموانزا ومبسا ونيروبي ويوغنده وغيرها من مدن شرق إفريقيا ومن يريد الوقوف على تفاصيل الجالية العربية التي هاجرت الى شرق إفريقيا فيمكنه الحصول على ذلك من كتاب (جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار) في باب «القبائل النازلة في زنجبار من العرب العمانيين والحضارمة ومساكن حضرموت والشحر والمكلا وسائر البلدان».^(١٧)

وتعد مجموعة الشحر من أكبر المجموعات العربية في شرق إفريقيا من احتفظوا بلسانهم العربي ولم يندمجوا في طوائف أخرى ويعرفون بالسواحيلية «بالواشحري» وكانوا يعملون تجاراً متجولين ثم استقروا يقول عنهم ترمقهم :

«العرب الأكثر فقرا الذين يتجمعون في زنجبار خلال المواسم وهم حضرميون يعملون كثيرا ويعيشون حياة صعبة مثل همالي استامبول وقد استجلب الكثير من الحضرميين إلى حاميات السلطان المختلفة كما أن عدد المهاجرين منهم قد تزايد بعد عام ١٨٨٢م عندما فر نقيب الشحريين في أعقاب انقلاب على الأسرة الحاكمة!! والشحريون نسبة إلى عرينة الشحية في جنوب الجزيرة العربية وأخذ اللفظ يطلق فيما بعد على جميع اليمنيين الذين يستوطنون في مدن شرق إفريقيا(١) وقد تزايدت أعدادهم بعد أحداث اليمن في بداية العقد السادس من القرن العشرين ونمت الجالية اليمنية بشرق إفريقيا نمواً كبيراً حتى إن رئيس الجالية الآن وهو محمد باحشون قدر لى أعدادهم في تنزانيا وحدها بخمسين ألفاً أو يزيدون ولا شك أن مثل هذا الرقم يوجد في بقية دول شرق إفريقيا.^(١٧)

والناظر لواقع الجالية العربية في شرق إفريقيا يجدها قد مرت بأوضاع مختلفة وذلك تبعا للإدارة السياسية الحاكمة في كل حقبة ففي الفترة التي سبقت الاستعمار الأوربي لشرق إفريقيا كانت أوضاع العرب السياسية والاقتصادية والثقافية في قمة أوجها في كل مناطق شرق إفريقيا في زنجبار وتنجانيقا وكينيا ويوغندا وزائير ورواندا وبورندي.

فمن الناحية السياسية كان العرب حكاما أو مخططين لسياسة البلاد. ففي زنجبار كان العرب حكاما لكل الساحل الشرقي المطل على المحيط الهندي من موزمبيق إلى الصومال وكانت هذه المنطقة تقع تحت الإدارة المباشرة للسلطان سعيد ومن بعده أبنائه ماجد وبرغش وغيرهم من خلفائه الذين كانوا يعينون لهم ولاة في كل المدن الساحلية والداخلية التي تربطها بالساحل علاقات تجارية قوية.

أما في يوغندا فقد أدخل العرب السلاح الناري وأحدثوا تطورا جذريا في نظام الحرس الملكي في مملكة الباغندا الذي أصبح حكرا لهم منذ عهد الملك سونا ١٨٥٢م مما وطن لسلطة الكباكا ونصره على جيرانهم من الملوك وقد تدرج المسلمون في المجال العسكري حتى أصبحوا قادة في جيش عهد الكباكا موتسيا وقد حقق العرب في عام ١٨٧٥ ذروة نفوذهم وذلك عندما أعلن الملك موتسيا إسلامه وتبعه في ذلك رعاياه وأخذوا يحافظون على الصلوات الخمس وشاعت عادات الزنج على الطريقة الاسلامية وأصبحت الجالية العربية مستشارة للكباكا في كل شئونه إلا أن ملاسات جديدة حلت بعد مجيء الأوربيين إلى المنطقة ودارت الحروب بين العرب والأمراء المسلمين من الباغنديين من جهة وبين المسيحيين وأمراء باغنديين آخرين من جهة أخرى وحسم الصراع لصالح الأوربيين وانزوت الجالية العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر وتفرقوا في الريف اليوغندي وعملوا كتجار واهل صناعات صغيرة (الصابون) ومعلمين في المدارس القرآنية^(٤) حتى أمدهم القرن العشرين بموجات جديدة من المهاجرين العرب من عمانيين ويمينيين.

ومن الناحية الاقتصادية فقد تولت الجالية العربية في شرق إفريقيا بناء نظام اقتصادي يقوم على مزارع القرنفل والنارجيل التي توسعت واحتاجت إلى قدر إضافي من العمالة تم استجلابها من الداخل وقد اختلطت هذه العمالة بتجارة الرقيق التي شجعها الانجليز في الهند وانقلبوا عليها في نهاية القرن التاسع عشر. كما جابت قوافلهم التجارية إفريقيا عبر الطرق التجارية الثلاثة المشهورة التي تنطلق من زنجبار إلى دار السلام وطابورا التي يتفرع الطريق منها إلى موانزا واوجيجي ويوكوبا إلى يوغندا وزائير وموزمبيق.

ومن الناحية الثقافية فقد استطاع العرب بعد استعماهم لاحدى لهجات البانتو ومدها بالمفردات العربية التمكن من ايجاد لغة هجين هي اللغة السواحيلية فعلى الرغم من النظام البنيوي والصوتي للغة السواحيلية فإن استعمال العرب لها أدخل عليها أصواتا صحاحا جديدة وغير في تركيبها المقطعية وافقدها التباين النغمي فالاصوات الجديدة تمثلت في الغين والذال والظاء ويتبدى أثرهم في التركيب في الروابط وحروف الوصل من (لكن) و (كما) و (الا) و (حتى) و (بعد) و (قبل) و (كل) و (بعض) بالإضافة إلى كتابتها بالأحرف العربية.

ومن الجوانب الثقافية التي دعمتها الجاليات العربية في شرق إفريقيا هو نشر الإسلام واللغة العربية على الساحل وفي المدن الداخلية ونقل نظام العمارة العربي والاطعمة والقهوة العربية بتوابعها من الحلوى والجلسة إلى المجتمع السواحيلي.

أما في العهد الاستعماري (١٩٠٠) فقد تراجعت سيادة الجاليات العربية والإسلامية في إفريقيا الشرقية على الرغم من احتفاظهم الموقت بوضع اجتماعي مميز، فنسبة معرفتهم بالكتابة والقراءة ومقدرتهم على التدوين استعملتهم الإدارة الألمانية في نظامها الإداري وقد

ساعد هذا الوضع على انتشار الإسلام في تلك المنطقة الأمر الذي جعل استخدامهم محرماً بعد الحرب العالمية الأولى، لقد ساندت الجاليات العربية المواطنين الإفريقيين في كفاحهم ضد الاستعمار بل إنهم قادوا العديد من الثورات ضد النظام الأوربي الجديد ولع من قادة هذه الثورات العديد من الاسماء مثل مبارك بن راشد المزروعى في كينيا وحامد بن محمد المرجبى الملقب بتيوتيو في زائير وبشير بن سليم في تنجانيقا.

لقد تضاءل دور العرب في عهد الاستعمار في كل المجالات ففي المجال السياسي اقتصر دورهم على السلطان الإسمى في زنجبار وتقلص ظل الولاة العرب من المدن الداخلية في تنجانيقا ولم يحظوا إلا بمقعدين في المجلس التشريعي الكيني في حين فاقت عدد مقاعد الهنود وهم أقل منهم عددا العشرة مقاعد^(١٠) ونحوها عن كل زعامة في زائير واحتفظ البوسعيديون بسلطان اسمي في زنجبار.

أما في المجال الاقتصادي فقد انهار نظامهم الاقتصادي الذي أسسوه على الزراعة وحلت الشركات الزراعية الأوربية محلهم في الاستصلاح الزراعي كما احتل الهنود مواقعهم في التجارات الكبيرة ولم تبق لهم إلا المحلات التجارية الصغيرة التي تعمل على بيع الحاجات اليومية.

وفي المجال الثقافي حاول النظام الاستعماري الجديد أن يهدم كل ما بنوه مستخدماً الجمعيات التبشيرية المسيحية والقرارات الإدارية التي حرمت استعمال اللغة العربية، كما أبعدت الحرف العربي من كتابة اللغة السواحلية واستعمال الأحرف اللاتينية بدلا عنه. وعندما جاء الاستقلال لاقت الجاليات العربية في مختلف أنحاء إفريقيا تجارب مختلفة تناسبت مع قريهم وبعدهم من الإدارة الاستعمارية في الأقطار الإفريقية.

فعلى الرغم من جهاد العرب المستمر في زنجبار من أجل الاستقلال إلا أن الانقلاب العسكري الذي نفذته كرومي بالتعاون مع نيريري في عام ١٩٦٤م كان مصحوبا باحداث دامية مؤسفة. ويروي شهود العيان أن حوالي السبعة عشر ألفا من العرب العمانيين واليمنيين قد ذبحوا في شوارع زنجبار وأرغم آلاف آخرون على الفرار واللجوء إلى مناطق مجاورة مثل كينيا أو الى الوطن الأصلي في عمان واليمن والخليج وأعلن الانقلابيون أن زنجبار قد اصبحت دولة إفريقية وعملوا على توحيدها مع تنجانيقا وانخفض عدد العرب في زنجبار بصورة كبيرة واضطر الباقون إلى قبول دور بسيط في الحياة اليومية واصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية يخافون من الكلام باللغة العربية أو الاحتفاظ بأى وثائق مكتوبة باللغة العربية فادى ذلك لاندثار اللغة العربية في تلك الأثناء والآن فاننا نجد كل العرب المقيمين في زنجبار وهم من بقايا الجالية العمانية لايتحدثون اللغة العربية الا اذ كانت اعمارهم تتجاوز الخمسين عاما.

أما في تنجانيقا فلم يتغير الوضع بعد الاستقلال كثيرا لان العرب لم يكن لهم دور كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية قبل ذلك إذ أن معظمهم لا يملكون إلا الحوانيت والمقاهى بل لقد تحسنت أوضاعهم بعد تشريعات اروشا ١٩٦٧ إذ سمح لهم بتدريس اللغة العربية في مدارس الدولة وفقا لامكاناتهم ولم يستفيدوا من هذه الفرصة لضعف أحوالهم المادية. كما أن سياسة نيريري المنحازة إلى قضايا العرب في الشرق الأوسط ادت إلى ربطهم وجدانيا بالعالم العربي وزعماء العالم العربي.^(١٦)

وفي كينيا حاول العرب قبل الاستقلال الحصول على الاعتراف بهم من قبل بريطانيا لا كجالية أقلية مثل الهنود بل كاصحاب البلاد وتعاطفوا مع ثوار الماوماو إلا أنهم تخوفوا على مصالحهم الخاصة مما جعلهم لا يساهمون بوضوح في هذه الثورة، الأمر الذي جعل بعض السياسيين الأفارقة يتهمهم بتجارة الرقيق (في الماضي) وفي ضوء هذه التحديات بدأ عرب كينيا يطالبون بفصل الساحل عن بقية أنحاء البلاد وبالفعل نجحوا في الحصول على الاعتراف بحكومة إقليمية تتمتع بحق الاشراف على التربية والصحة ولكن الفترة الانتقالية التي تلت الاستقلال مهدت الطريق لدستور آخر تنازل فيه زعماء المعارضة عن النظام الاقليمي^(١٧) وتكاملت البلاد تحت زعامة حزب (كانو). وفي اعقاب الاستقلال ١٩٦٣ قررت أقلية من العرب اليمينيين العودة إلى بلادهم أما الأغلبية فقد بقيت في كينيا يعاملون كأخوال مجومبا ويتمتعون ببعض المناصب الكبرى في الوزارات والادارات الحكومية كوزراء ومساعدين وسفراء كما شجعوا على الاحتفاظ بتجاراتهم ما دامت صغيرة لاتؤثر في الاقتصاد القومي على العكس تماما مما حدث للهنود.

وفي يوغندا بقي العرب بعيدا عن مجال السياسة بعد تجربتهم القاسية التي قاسوها في نهاية القرن التاسع عشر لذا لم تعكس فترة القومية اليوغندية اى عداء نحو العرب كما حدث في زنجبار ولكن جاء قدرهم متأخرا قليلا وذلك عندما اعتبروا مناصرين للرئيس الاوغندى عيذى أمين لكونه مسلما وقد اعتبروا مساعدة الدول العربية له دليلا على تورط العرب في مسانده (لاسيا ليبيا والمملكة العربية السعودية) وعندما أطيح بنظام عيذى امين قام مؤيدو الرئيس السابق ملتون ابوتى بحملة رهيبة ضد العرب راح ضحيتها عدد لم يحدد حتى الآن وفقد هؤلاء العرب جزءا من ممتلكاتهم وهاجر عدد منهم إلى اليمن وكينيا وتنزانيا ولكن عاد عدد من المهاجرين بعد استقرار الحياة السياسية هناك.

وفي زائير ساهم العرب في كفاح القومية الإفريقية ضد الاستعمار وحاول البلجيكويون إثارة العداوة ضد العرب باتهامهم المتكرر بأنهم أحفاد أسلافهم تجار الرقيق كى يشقوا صف المقاومة ويوجهوا عداوة الأفارقة ضد العرب فيحدث الانشقاق بين الأفارقة والعرب وتضعف

حركة المطالبة بالاستقلال لكن شيئا من ذلك لم يحدث وتشير المصادر إلى استمرار العرب في حركة المقاومة ضد المستعمر أعضاء في الاحزاب السياسية - فعذب بعضهم (سلطان محمد في بورندي) وقتل البعض الآخر كما أن الزعيم الزائيري باتريس لومبا قام بمقاومة الدعايات البلجيكية ضد العرب ووصفهم بانهم أحوال الزائيريين . وفي اثناء الحرب الاهلية . في زائير لم يمس اى من العرب بسوء بل كان الذين هوجموا وقتلوا هم البلجيكيون^(١٨)

الجاليات السودانية في شرق إفريقيا:

دفعت حكومة الخديوى في مصر عام ١٨٥٨م بمجموعات من الفرق العسكرية المكونة أساسا من جنود سودانيين من قبيلة الدناقلة إلى ماوراء مناطق سيطرتهم في شمال يوغندا وقد تمكن هؤلاء الجنود من إنشاء مراكز تجارية في اتجاه الجنوب حتى منطقة مولارو^(١٩) لقد جذب الربح الوفير الذى تدره تجارة هؤلاء الجنود أعدادا جديدة من تجار مدينة الخرطوم من مختلف الجنسيات مصريين وسوريين ولبنانيين وأتراك بالإضافة إلى أعداد كبيرة من التجار السودانيين . ولقد اتخذ عدد من تجار الخرطوم مساكن دائمة لهم في شمال يوغندا وقد وصف الرحالة الاوربيون هذه المساكن بانها معسكرات منظمة وحضارية وقد قدر جون باتريك صاحب كتاب «مصر والسودان وإفريقيا الوسطى» حجم تجارة العاج التى ترد إلى الخرطوم بمائة طن سنويا كما قدر عدد الجنود السودانيين بألفى جندى يشرفون على ادارة تسعين الف ميل مربع^(٢٠).

وفي اثناء الثورة المهديية في السودان ١٨٨٢/١٨٨٥م كان أمين باشا الالماني الاصل حاكما على إقليم الاستوائية من السودان المصرى بما فيه الجزء الشمالى من يوغندا فقطعت الثورة في الخرطوم كل اتصال بينه وبين الشمال فرحل ومن معه من جنود سودانيين وعائلاتهم إلى داخل يوغندا وتقدر أعداد هؤلاء الجنود وعائلاتهم بحوالى ثمانية آلاف وتسعة وعشرين موزعين على النحو التالى (٢٠٨٥) رجلا و (٣٠٦٥) امرأة و (١٤٨٤) بنتاً و (١٣٥٨) ولدا و (٢٧) مفقودا^(٢١).

وبالطبع فان العديد من السودانيين قد شقوا طريقهم إلى ذوبهم في يوغندا بعد أن تلقوا معلومات تفيد برغد العيش ورواج التجارة فقد سجل امين باشا بعض الملاحظات قائلا: (في مديرية امدادى فبالاضافة إلى أربعين من الدناقلة الجنود غير النظاميين الذين استأجرتهم الحكومة فقد استقر ما لا يقل عن ستة وتسعين آخرين من الدناقلة من بينهم أكثر من عشرين لا يؤدون عملا بينما يعيش خمسة كتجار وأربعون كعشارية حوالى ثمانين دعاة دينيين (فكى).^(٢٢)

ويتضح من تعداد عام ١٩٥٩ أن عدد السودانيين قد بلغ حوالي ٢٣ ألفا بيوغندا يطلق عليهم اسم النوبة مما يدل على أنهم ظلوا متميزين ولم يذوبوا في المجتمع اليوغندي واللغة التي تربط بينهم هي نوع من العربية التي كانت تستخدم بين الجنود السودانيين ولا يزال المسنون منهم يستعملونها بينما أخذت الأجيال الحديثة في استخدام السواحيلية حتى داخل منازلهم وقد قام بعض المؤرخين السودانيين ببناء مركز دراسي لتقوية اللغة العربية بينهم وأطلق عليه اسم (الترابي) إشارة لأمير الجماعة الإسلامية في السودان .

لقد تضاعفت أعداد السودانيين في يوغندا لاسيما في أوائل العقد الثامن من هذا القرن حيث هاجر العديد من التجار السودانيين من خريجي الجامعات ومن معارضي الأنظمة السياسية المتعاقبة فابرزوا وجها سودانيا مشرقا متعاوناً مع اليوغنديين في مجال المؤسسات الخيرية التي تعمل على درء الكوارث (الوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة) . والمؤسسات التي تعمل على نشر الدعوة الإسلامية . كما تذخر بقية اقطار شرق إفريقيا بالجاليات السودانية التي هاجرت إليها في أوائل هذا القرن حيث عملت الإدارة البريطانية والالمانية على نقل العديد من السودانيين للعمل في الإدارة الوسيطة ورجال امن الا انهم كانوا دوما يفصلون من الخدمة المدنية بتهمة العمل على نشر الإسلام كما كان عليه الحال في تنزانيا (تنجانيقا) حيث لم يتورعوا في مشاركة الإفريقيين في الثورة ضد الالمان وتشير الاميرة سالمة بنت السلطان سعيد سلطان زنجبار والتي عاشت في آخر القرن التاسع عشر إلى العديد من النوبة السودانيين في خدمة أبيها السلطان وكيف أنها تقدر العم محمد السوداني الذي كانت تستشير في حياتها الخاصة (١) . والسودانيون اليوم في دار السلام وحدها يقدرون بهائة أسرة لهم جمعية مركزية تعتبر الجمعية المركزية للسودانيين المتفرقين في جميع أنحاء تنجانيقا (تنزانيا برا برا) وما زالوا يحتفظون بالرقصة السودانية المسماة (بالدلوكة) بالإضافة إلى ثلاث رقصات روحية أخرى هي الشمبورا والبوري والجنديو.^(٣٣)

وفي كينيا جلبت الإدارة البريطانية العديد من السودانيين للخدمة في خط السكة الحديد وللخدمة في الإدارات الحكومية وهم الآن يكونون جاليات سودانية تقيم في مدن مقاطعة تيانزا والمقاطعات الوسطى من كينيا مثل (مياما) و (كاميجا) و (مياي) و (ميرو) و (شرو) وفي قرية ناكورو توجد لهم مدرسة ابتدائية وهم شديداً الحفاوة باخوانهم السودانيين الذين هاجروا إلى شرق إفريقيا حديثاً .

وفي زائير هناك العديد من السودانيين الذين هاجروا إليها قريبا وحديثا ويعملون في التجارة الحدودية والتجارات المنقولة (تجار شنطة) وعموما فقد كان هؤلاء ولا يزالون يعملون على دعم وتأصيل الثقافتين العربية والإسلامية في تلك الانحاء من إفريقيا .

كما توجد جالية سودانية كبيرة في شاد وقد عزز من حجم هذه الجالية الجوار بالحدود

المشتركة والقبائل المشتركة بين اقليمي غرب السودان وشرق شاد وقد أسس السودانيون لهم مدرسة في العاصمة انجمينا اصبحت قبة لهم ولغيرهم من المواطنين .

الجاليات العربية في غرب إفريقيا:

تعتبر الجالية اللبنانية في إفريقيا أكثر الجاليات العربية في القارة السوداء عددا وذلك لأسباب كثيرة تاريخية ومعاصرة دفعت بمئات الآلاف منهم للهجرة إليها وإلى غيرها من مختلف انحاء العالم . فالتركيبة النفسية للشعب اللبناني والتي تأثرت إلى حد كبير بالتركيبة الطبيعية ذات الجبال والشعاب جعلت من الشعب اللبناني صعب المراس يقتضى ترويضه جهدا كبيرا لذلك عندما أحكم الاتراك العثمانيون الانشطة حول عنقه في أخريات القرن الماضي تمثلت استجابته لهذا التحدى في الهجرة إلى المهاجر القريبة والبعيدة ولعل ذات التركيبة النفسية التي وضخناها هي المسئولة في المقام الاول عن الحرب الاهلية اللبنانية في منتصف العقد السابع من القرن العشرين وبالطبع كانت الاستجابة هي ذات الاستجابة القديمة التي تمثلت في الهجرة .

وتأتى أهمية تركيزنا على الجالية اللبنانية من حقيقتين الأولى أنها تمثل أكبر الجاليات العربية في غرب إفريقيا وتقدر بما يفوق المائة ألف لا تدانيها سوى الجالية اليمنية في شرق إفريقيا، أما الثانية فهي المحاولات الرسمية التي تقوم بها دولة المهجر (لبنان) من أجل تدعيم وجود المغتربين اللبنانيين لاعتبارات معلومة فأخذت الدولة من حين لآخر ترسل مسئولين ودبلوماسيين على مستوى عال وأود أن أشير إلى الاهتمام الصحفى الذى قامت به صحيفة السفير اللبنانية حيث أوفدت بعثة صحفية إلى خمس عشرة دولة إفريقية استمرت ٩٠ يوما خلال شهر كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٠ - شباط / فبراير ١٩٨١^(٢٤) وكانت دوافع ايفاد البعثة على حد تعبير محرر الصحيفة، أن إفريقيا هي محور الصراع العالمى الكبير وفيها ثلثا الامة العربية ولا يمكن فصل مصيرها عن مصير الامة العربية^(٢٥) واهتمت تحقيقات الصحيفة بتوضيح دور الجالية العربية وخاصة اللبنانية وذكرت أن في إفريقيا أكثر من مائة ألف لبنانى وضحت أن أعمالهم تتباين من بايعى الخرز إلى أرباب التجارة وأصحاب المصانع كما وضحت صلتهم بلبنان ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية في المجتمع الإفريقي .^(٢٦) فمما سبق يتضح النظام الدقيق للجاليات اللبنانية في افريقيا مما يجعلها تصلح حالة دراسية ناجحة .

يتعذر تعيين التاريخ الدقيق الذي بدأت فيه هذه الهجرة نحو القارة الافريقية ولكن يمكن تحديده بصورة تقريبية حسب ماورد في الوثائق الرسمية للسلطات اللبنانية بالعقد السابع من القرن التاسع عشر أى حوالى عام ١٨٨٠ وتعزوذات المصادر أسباب هذه الهجرة للارهاب التركى لاسيما في جبل لبنان. وقد ظل عدد المهاجرين اللبنانيين إلى إفريقيا من ذلك العهد ضئيلا، ولم تأخذ الهجرة في الاتساع الا في بداية القرن العشرين. لقد كتب الكابتن دى كروك في العدد الخامس والخمسين واربعائة من مجلة مراسلات الشرق الصادر في تموز من عام سبع وعشرين وتسعمائة والف قائلا: «لقد ساعد نجاح المهاجرين بعد الحرب على ازدياد الهجرة فبين عام ١٩٠٧ وعام ١٩٢٧ هاجر من لبنان ما يزيد على مائة وثلاثين الفا لاسباب منها أن اراضى لبنان لم تعد تكفى أو أن ارواحهم وممتلكاتهم لم تكن في امان وتشير المصادر إلى أن معدل الهجرة أخذ في الانخفاض بين عامى ١٩٣١ - ١٩٣٢م بسبب الازمة الاقتصادية القائمة في تلك السنوات. غير أن معدل الهجرة اخذ في التصاعد مرة اخرى نسبة لضيق العيش الذى اعقب الحرب العالمية الثانية».

يقدم المؤلف الفرنسى دى بورد لنا وصفا دقيقا عن تاريخ الهجرة اللبنانية إلى السنغال، أشار فيه إلى خمسة مهاجرين لبنانيين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثانية والعشرين وصلوا إلى شواطئ إفريقيا الغربية في عام ١٨٩٢م وتوزعوا بين سان لويس وكوناكرى وكانوا يرتدون الملابس الشرقية ويتجرون في الخرز وبعض المنتجات الزجاجية في الساحات العامة فصادفت بضائعهم إقبالا ورواجا واستطاع أحدهم الحصول على مساعدة إحدى الشركات التجارية الاجنبية فساعد بدوره رفاقه فتحسنت أحوالهم التجارية وبعد سنوات وصلت أخبار نجاح هؤلاء الشباب إلى مارسيليا فعدل كثير من المهاجرين عن متابعة السفر إلى امريكا وتوجهوا نحو إفريقيا الغربية. (٢٧)

فعندما استقر المهاجرون الأوائل شعروا بحاجة إلى توسيع أعمالهم فاستقدموا مهاجرين جدداً من الوطن واستقبلوهم برحابة صدر وكان معظم مهاجرى الفوج الثانى من انساب وأصهار الرواد أو من اصدقائهم وابناء أحيائهم وقراهم وقد نشأ عن هذه الحالة تكتل اقليمي فتجد اكثر مهاجرى بلدة الزاوية في جنوب لبنان في داكار وساحل العاج ومهاجرى طرابلس في غانا ومهاجرى بوكية في عينيا ونيجيريا ومهاجرى صور في السنغال وسرايون. وتؤكد المصادر بأن عدد مهاجرى لبنان في إفريقيا لم يكن يتجاوز لأربعائة مهاجر، فاخذ يتصاعد حتى بلغ عشرة آلاف وثمانمائة مهاجر في عام ١٩٣٨ موزعين على دول إفريقيا على النحو التالى:

٢٨٠٠ في السودان و ١٦٠٠ في السنغال و ١٦٠٠ في ساحل العاج و ١٦٠٠ في غينيا
كوناكرى و ٧٠٠ في داهومى و ٤٠٠ في النيجر و ١٠٠٠ في غانا و ٤٠٠ في غينيا البرتغالية و

١٠٠ في ليبيريا و ٨٠ في توغو و ١٠ في النيجر و ٢٠ في غامبيا و ٣٢٥ في سيراليون والبقية متفرقة في دول غرب إفريقيا وقد تضاعفت هذه الأرقام كثيرا بعد الحرب العالمية الثانية .
ودلت الإحصاءات الأخيرة عام ١٩٧٩ على أن أعدادهم في السنغال قد بلغت (١٧٠٠٠) وفي نيجيريا (١٢٠٠٠) وفي ساحل العاج (١١:٠٠٠) وفي سراليون (٧٣٧٥) وفي غانا (٤٠٠٠) وفي ليبيريا (٢٣٠٠) وفي غامبيا (١٤٠٠) وفي الكاميرون (١٣٥٠) وفي إثيوبيا (٤٠٠) وفي تنزانيا (٣٢٥) وفي كينيا (١٥٠) وبالطبع فإن أحداث لبنان (١٩٧٥)^(٢٨) قد ساهمت في معدل الهجرة بصورة واضحة .

يعمل اللبنانيون أصحاب أعمال في السنغال وساحل العاج ومقرضوا أموال في ليبيريا ومعدنوا ماس في سراليون وجمهورية إفريقيا الوسطى وصاغة في غانا ولكنهم في أغلب الأحيان يعملون في تجارة المفرق وهي التجارة الصغيرة وهي مرحلة لا بد لكل لبناني مغترب أن يمر بها . الأمر الذي جعلهم يصطدمون مع أمانى الإفريقيين الذين يحسون بأن مجال نشاط اللبنانيين يمكن أن يملاهم الإفريقيون أنفسهم . ولقد حاول اللبنانيون كسب السلطات في العهدين الاستعماري والوطني ففبرعوا بالأموال الطائلة للصليب الأحمر والهلال الأحمر وسائر المشاريع الإنسانية . وحفاظا على كياناتهم الاجتماعية فقد أسسوا الأندية اللبنانية وألفوا الجمعيات الخيرية وبنوا المدارس واشتركوا في تأسيس المستشفيات وعلى الرغم من الجهود التي بذلها اللبنانيون لاسترضاء السلطات الإفريقية لكنهم لم ينالوا رضى تلك الشعوب وذلك للشعور القومي القوي المتأصل بين اللبنانيين . فاللبناني المغترب في إفريقيا يتحلى بعدة ميزات منها زيارته المتواصلة إلى بلده الأم مما يدل على قوة انتمائية إليها بالإضافة لمحاولته الدائبة في الإبقاء على أطواره الثقافي وعدم الاندماج والتجانس الثقافي مع المجتمع الذي يعيش فيه ويتجلى ذلك في إصراره على تشييد مدارس لبنانية في المهاجر تلتزم بالمنهج اللبناني بما فيه التشيد الوطني اللبناني الأمر الذي يجعل من العسير على المواطنين الإفريقيين إرسال ابنائهم إلى هذه المدارس ليحدث نوع من التواصل الثقافي .

أما الميزة التي يتميز بها اللبنانيون التي كانت دائما تجر عليهم قدرا من السخط هو إصرار اللبناني على استثمار الجزء الأكبر من رأساله في لبنان مما جعل الطبقة المستنيرة من الشعوب الإفريقية تصممهم بالاستغلال والتهريب وتقديم الرشاوى والإسهام في الفساد^(٢٩) لاسيما أن تاريخ وفود الجالية إلى إفريقيا قد تزامن مع فترة الاستعمار الاجنبي وارتبطوا بالهيكل والبنيات الاستعمارية الفرنسية والانجليزية وعملوا في ظلها ومثلوا مستويات دنيا في ترتيبات الوضع الاقتصادي العام لذا فقد عارضوا الحركات الوطنية الإفريقية للاستقلال لأنهم وعلى الرغم من أن الأماكن التي احتلوها في البنيان الاقتصادي الذي أسسه الاستعمار على استغلال

الشعوب الإفريقية في كثير من الاحيان متواضعة إلا أن مصالحتهم ارتبطت بمصالح الاستعمار ففي كثير من المعارك والظروف وجدوا انفسهم منحازين إلى المستعمر في مواجهة الوطنيين الأفارقة.⁽³¹⁾

والميزة الاخيرة التي تميز الجالية اللبنانية هي أن المهاجر اللبناني يعود إلى بلده مهما طال اقامته مما تسبب في مشكلة عدم تواصل الاجيال وتتابعها الامر الذي يجعل أفراد الجالية دائماً بعيدين عن نفسية الشعوب التي يعيشون بينها وحرمتهم هذه المزية من فضيلة تذوق الحياة الإفريقية فلم يتجانسوا معها ثقافياً ولا دينياً ولا عرقياً مما جعلهم عناصر غير فعالة في نشر الثقافة العربية على عكس الاجيال الأولى من المهاجرين العرب الذين تصاهروا مع الأفارقة فوجدوا جيلاً من المجنسين العرب والأفارقة حملوا رسالتهم من بعدهم فنشروا الإسلام واللغة العربية وكانوا اكثر تأثيراً في أبناء خالاتهم من الأفارقة وبالطبع هناك العديد من الجاليات العربية الأخرى قامت بالاندماج في المجتمعات الإفريقية في غرب إفريقيا لاسيما المهاجرون المغاربة فقد اشارت المصادر إلى أن اسرا شريفة من كبار تجار مدينة فاس توجهت إلى ساحل العاج وداكار وغيرها وأسسوا مراكز تجارية كبرى استفدوا لها عمالاً مغاربة وخلال اقامتهم تزوجوا نساء إفريقيات فنجم عن هذا التزاوج والمصاهرة . جيل عربي إفريقي الدم . وحينما اختاروا العودة إلى بلادهم بقي بعض الابناء يزاولون التجارة وارتحل البعض الآخر وتلاحظ د. فاطمة الجامعي ، من واقع معاشتها للظاهرة ، الاندماج التام لابناء تلك الاسر وزيجاتهم في الوسط الفاسي حيث تقبلت الاسر الكبيرة هذا التصاهر ولم تجد فيه اي غضاضة كما أن تبادل الزيارات بين الاسر الفاسية وأصدقائها من الأفارقة ظاهرة معيشة تنبىء عن طيب العلاقات القائمة بين الطرفين ، علاقات انصهرت في بوتقة الاسرة ليصبح اولئك الزائرون الافارقة افراداً ضمن الاسرة لا مجرد اصدقاء يقيمون في منازل ودور الفاسيين ويتقاسمون الطعام مع كل ابناء الأسر المغربية صغيرها وكبيرها على المائدة نفسها ولا شك أن في ذلك اسهاماً في تقوية اواصر التعايش وما ينتج عنه من تأثير وتأثير⁽³²⁾

لم تكن الجالية المغربية وحدها هي التي اتسمت بعلاقتها بالاندماج والتصاهر والانسجام مع مجتمع غرب إفريقيا فهناك جالية مصرية كبيرة قوامها زوجات المبعوثين الإفريقيين للدراسة بجامعة الأزهر انجبن من الذراري من يحمل الدم العربي واستقدمن اخواتهن زوجات لاعمام ابنائهن فقد حصرت منها قرابة الخمسين اسرة في حى سبنقرى بمدينة كانوا و اشارت المصادر للعديد من هذه الاسر في السنغال⁽³³⁾ وغينيا ومالي والنيجر بالإضافة للعديد من المصريين الذين يعملون معلمين في المدارس الإسلامية وتجاراً واصحاب مطاعم في مختلف انحاء إفريقيا الا انهم يتركزون في السودان كأقباط وقلبيات مسيحية (نقادة) كما يتمركزون في اثيوبيا ويقدر ضثيل في شاد وشرق إفريقيا .

الجالية المسلمة في إفريقيا:

يوحى مصطلح الجاليات الإسلامية في إفريقيا بقلّة عدد المسلمين أو عدم مقدرتهم على المساهمة في الحياة العامة. وسنركز هذا الجزء من بحثنا على محاولة بيان هاتين النقطتين. هل المسلمون في إفريقيا قليلو العدد أم ضعيفو الأثر إلى الدرجة التي جعلتهم يجلسون على مقاعد المتفرجين غير قادرين على المساهمة في الحياة العامة.

والإجابة على السؤال الأول والخاص بأعداد الجالية الإسلامية في إفريقيا يتطلب جهدا حارقا وذلك لانعدام المعلومات الموثوقة عنهم لان هذا المبحث حديث الاهتمام فقد انشغل المسلمون في العالمين العربي والایرانی (من الاناضول الى السند) طوال هذا القرن بأنفسهم في جهاد مرير من أجل الاستقلال ولم يلتفتوا إلى أهمية التعاون والتنسيق مع بقية دول الجنوب من أجل التخلص من رواسب الاستعمار بما في ذلك ابناء القارة الإفريقية المجاورة أما الاهتمام بالمسلمين من ابناء القارة فقد جاء متأخرا، الامر الذي جعل البحث عن معلومات عنهم متناسب مع التأخير النسبي لوعي العرب باهمية الترتيب الدقيق لأولوياتهم في التعاون مع الشعوب الاخرى.

لقد صاحب هذا الجهل من قبل العرب بأحوال الجاليات الإسلامية في إفريقيا وعى مبكر من قبل القوى الكبرى في العالم باهمية جمع المعلومات عن هذه الجاليات بقصد محاصرتها وعزلها عن مجالات الحياة ومحاولات تنصيرها وضمها إلى بقية الجيوب التي تخدم مصالحها، وكان من أولى وسائل هذه القوى لتحقيق استراتيجياتها هونشر معلومات مضللة توحى بأن الجاليات الإسلامية في إفريقيا قليلة العدد وقليلة النفع للمجتمعات الإفريقية التي تعيش فيها ذلك من خلال تقليل اعدادهم عن ما هي عليه في الواقع وفرض بعض المفاهيم المغلوطة مثل اصرارهم على ضم الوثنيين في إفريقيا إلى قائمة المسيحيين فمثلا لو شكل المسلمون (٤٠٪) اربعين في المائة من اعداد السكان اطلقوا عليهم اقلية على الرغم من ان باقى النسب الاخرى تكون ٣٥٪ وثنيين و٢٠٪ مسيحيين و٥٪ اديان اخرى.

فيما يلي جدول يوضح نسب المسلمين في الدول الإفريقية مرتبة حسب كثرة المسلمين بها وحسب ما اورده مصادر مسيحية وإسلامية:

الجدول

اسم القطر	Africa 1982	Chstion Encycdo Pidiq	مركز افريقيا وآسيا في باريس	قسات العالم الإسلامي	التقدير الصحيح في نظر الباحث
١/ جزر القمر	%١٠٠	%٩٩	%٩٩ر٥	%٩٩ر٧	%٩٩ر٥
٢/ النيجر	%٩٧ر٥	%٨٧ر٩	%٨٥	%٩٠	%٩٧ر١
٣/ السنغال	%٩٠	%٩١	%٨٦	%١٠٠	%٩٧
٤/ غينيا كوناكري	%٩٥	%٦٩	%٤٧	%٩٧	%٩٧
٥/ مالي	%٦٥	%٨٠	%٦٨	%٩٢	%٨٦
٦/ قامبيا	%٨٥	%٨٤ر٨	%٨٦	%٨٥	%٨٦
٧/ سيراليون	—	%٣٩ر٤	%٧٠	%٧٠	%٧٠
٨/ تشاد	%٤٥	%٤٤	%٤٧	%٩٧	%٧٩
٩/ غينيا الاستوائية	—	—	—	%٦٥	%٦٥
١٠/ نيجيريا	—	%٤٥	%٤٦ر٢	%٦٠	%٦٠
١١/ اثيوبيا	%٣٥	%٣١ر٤	%٣٥ر١٩	%٦٥	%٥٧
١٢/ بوركينا فاسو	%٢٠	%٤٣	%٢٥ر١	%٦٠	%٥٦
١٣/ غينيا بيساو	%٣٥	%٣٨ر٣	%٣٥	%٦٠	%٥٦
١٤/ تنزانيا	٣٦ر٢	%٣٦ر٢	%٣٢	%٦٠	%٥٥
١٥/ الكامرون	%٢٠	%٢٢	%١٥	%٥٥	%٥٤
١٦/ ساحل العاج	%٢٣	%٢٤	%٢٣	%٥٧	%٥٠
١٧/ بنين	%١٣	%١٥ر٢	%١٥	%٦٣	%٤٧
١٨/ ملاوي	—	%١٥ر٢	%١١	%٥٤	%٤٥
١٩/ ليبيريا	%٣٠	%٣٠	%١٥	%٣٠	%٤٥
٢٠/ رواندا وبورندي	%١	%٥ر٩	%٥	%٤٠	%٤٠
٢١/ إفريقيا الوسطى	%٥	%١٢	%٥,٨	%٦٥	%٤٠
٢٢/ كينيا	—	%٦	٧ر٣	%٥٣	%٣٥
٢٣/ يوغندا	%٥	%٤ز٤	%٨ر٣	%٥٥	%٣٣
٢٤/ غانا	—	%١٥	%١٩	%٣٠	%٣٠
٢٥/ موزمبيق	%١٥	%١٣	%١٣	%١٣	%٣٠
٢٦/ موريشس	%١٦	%١٦ر٣	%١٦	%٢٠	%٣٠
٢٧/ توجو	%٧٥	%١٧	—	%٥٧	%٣٠
٢٨/ رواندا	—	%٥ر٩	%٢	%٤٠	%٣٠
٢٩/ أنغولا	—	—	—	%٢٦	%٢٦
٣٠/ ملقاسي	%٧	%٣	%١	%٢٥	%٢٠
٣١/ رينون	—	%٢ر٤	%٢ر٣	%٢٠	%٢٠
٣٢/ بتسوانا لاند	—	%١	%٢	%٢٥	%١٢
٣٣/ زائير	—	%١ر٤	%١ر٥	%١٠	%١٠
٣٤/ نامبيا	—	%٢	%١	%١	%٨
٣٥/ جنوب إفريقيا	%١ر٣	%١ر٣	%١ر٥	%٢	%٨
٣٦/ سوزيلاند	%٢٦	%١	%٢	%٢	%٥
٣٧/ لوسوتو	—	—	%١	%٢	%٥
٣٨/ سيشل	—	%٣	%٥	%٢ر٣	%٥

يوضح هذا الجدول حجم التناقض بين المصادر المسيحية نفسها في تحديد نسبة الجاليات الإسلامية في إفريقيا كما يوضح سعيها الدؤوب للتقليل من نسبتهم تمهيدا لحرمانهم من اى دور في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في بلادهم، وحتى من منطلق النسب التي يقدمها المسيحيون انفسهم، فان المسلمين يشكلون نسبة عالية في البلاد الإفريقية ذات الكثافة السكانية العالية مثل نيجيريا (٨٠ مليوناً) اثيوبيا (٤٠ مليوناً) تنزانيا (٢٥ مليوناً)، اذ تفوق نسبهم في خمس عشرة دولة من بينها هذه الدول الثلاثة نصف السكان.

اوضاع الجاليات المسلمة في إفريقيا

عملت المؤسسات الكنسية بالتعاون مع الاستعمار الغربى إبان حقبة سيطرته على فرض نوع من العزلة على الجاليات المسلمة باقصائهم عن مواقع التأثير في الحياة اليومية وإبعادهم دون تأهيل للحياة العامة ونجم عن هذا الوضع العديد من المشاكل التي أفضت هذه الجاليات عن أداء دورها في الحياة على وجه مرض وتنتجت من بين هذه المشاكل خمس هي :

(١) ضعف أحوال المسلمين وضآلة دورهم في تسيير الحياة السياسية والإدارية في البلاد حتى التي يشكلون فيها أغلبية.

(٢) جهل المسلمين وعدم توفير فرص التعليم الدينى والمدنى

(٣) فقر المسلمين وتدهور أحوالهم الاقتصادية مقارنة بأمثالهم من الملل الأخرى.

(٤) ضعف شعور المسلمين بهويتهم العقدية والثقافية وضعف صلتهم بالعالم الإسلامى والعربى.

(٥) تفرق المسلمين إلى طوائف وقبائل وقد عمق هذه الفرقة والانقسام وفود الجاليات العربية الحديثة عليهم.

ولنبداً في تفاصيلها :-

أولاً: يعاني المسلمون في إفريقيا من الضعف والوهن العام الذى تتجلى مظاهره في عدم مقدرتهم على المشاركة في تنمية بلادهم وادارتها والواقع أنهم يقصون من هذه المواقع قسراً بالطرق الدبلوماسية وأحياناً بالقوة.

ويامعان النظر في الخارطة السياسية في إفريقيا نتيين نسبة ذلك بوضوح، ففي بلد مثل السنغال يمثل المسلمون ٩٧٪ من نسبة سكانها كانت تدار إلى عهد قريب بواسطة رئيس مسيحي تساعد في إدارة البلاد عصابة من المسلمين في مختلف مرافق الدولة. وفي بلد مثل اثيوبيا لا تقل نسبة المسلمين فيها في كل التقديرات عن الخمسين في المائة يحكم النظام الماركسى فيها قبضته على مقاليد الامور فإننا نجد معظم الإداريين من الامهريه المسيحيين

ولا يوجد وزير مسلم واحد في الحكومة أو عضو مسلم في قيادة المجلس الانتقالي الحاكم للبلاد. (٣٣) وفي كينيا حيث تبلغ نسبة المسلمين ٣٠٪ لم يحظ مسلم واحد بوظيفة وزير منذ ان نالت استقلالها (٣٤) وعلى هذه الشاكلة كل بلدان إفريقيا المسلمة.

ثانيا: يعاني المسلمون من الجهل والفقر الذي تتجلى مظاهره في عدم تأهيلهم للحياة العامة فقد اعدت النظم الاستعمارية في إفريقيا صيغا للنظم التعليمية بحيث أصبحت على نسق النمط العلماني السائد في اوربا وحتى البلاد القليلة التي كانت بها مؤسسات اسلامية اضعف الاستعمار من دور هذه المؤسسات ولم يعترف بخريجياتها أو بشهاداتها. (٣٥)

فقد كان رد فعل المسلمين هو الإعراض التام عن التعليم المدني الأوربي نسبة لسيطرة الكنيسة على بنياته من مناهج وادارات تربوية وكانوا يتهربون من إرسال أبنائهم الى المدارس الاستعمارية الكنسية لأن مناهج هذه المدارس لاتتضمن مواد التربية الإسلامية واللغة العربية، لذلك أنشأوا مدارس قرآنية تحاول عاجزة أن تقدم لروادها من أبناء المسلمين ثقافة عربية وإسلامية متجاهلة بذلك التعليم التقني والفني وقد كان رد الفعل هذا في بادئ الامر استجابة طبيعية وناجحة غير أنه جمد على شكله الأول ولم يتطور ليستوعب حاجات العصر فانتهزت الإدارات الإستعمارية الفرصة لتحشد عملاءها من الأفارقة الذين وقعوا ضحية لمحاولات التنصير في مدارس الحكومة التي يقوم المسلمون بتمويلها في شكل عوائد وجبايا تؤخذ منهم وضرائب تفرض عليهم لتأهيل اعدائهم التقليديين، واستمر هذا الواقع إلى الاستقلال فلما تنبه المسلمون إلى أهمية التعليم العصري وضعت الإدارات الحكومية العراقية أمام أبنائهم فانعكس ذلك على ضعف وجودهم في الجامعات، ففي تنزانيا مثلا على الرغم من أن المسلمين أغلبية عديدة إلا أن نسبتهم في جامعة دار السلام لم تتجاوز ال ١٠٪ منذ الاستقلال إلى يومنا هذا. (٣٦)

هذا هو الحال في بلد ذى أغلبية مسلمة فكيف الحال في بلد الاقليات الصغيرة - وبالطبع فإن وجود أساتذة الجامعات المسلمين في هذه البلاد يكاد لا يحس، فقد أصبحت السيطرة الكاملة في مجال التعليم في يد المسيحيين ليدبروا العملية التربوية وفق مخططهم الاستراتيجي الرامى إلى مسخ هوية المسلمين، وكما يتوقع فقد انعكس ذلك على خلو مرافق الدولة منهم. أما مشاكل الفقر في مجتمعات المسلمين الأفارقة فيمكن رد بعضها إلى مشاكل عصور الاستعمار فقد عانى مسلمو اثيوبيا مثلا من سياسات التفرقة منذ أمد طويل فقد وجدهم المبشر الكاثوليكي البرتغالي في اوائل القرن السادس عشر الميلادي يسكنون في قرى منفصلة عن تلك التي يقطنها المسيحيون. وقد اتخذت هذه التفرقة شكلا رسميا عندما أصدر الامبراطور يوحنا الاول مرسوما عام ١٦٦٨ يحظر فيه سكن المسلمين والمسيحيين في مكان واحد. وقد تم على إثر هذا المرسوم إجبار المسلمين على إخلاء المناطق المرتفعة في غندار

والنزوح إلى المناطق المنخفضة من المدينة والتي ظلوا يقيمون بها إلى يومنا هذا^(٣٧) كما حرم على المسلمين امتلاك الاراضى الزراعية الا اذا منحت لهم بشكل رسمى من قبل الاباطرة او حكام الاقاليم مقابل قيمة نقدية عالية وقد كان ذلك نادر الحدوث لذلك لجأ المسلمون إلى التعامل فى الارض عن طريق الایجار التعاقدى .

ولقد اهتمت الكنائس الاوربية بدعم أتباعها فى إفريقيا واحداث مثال على ذلك تشجيع الكنيسة لمسيحيى حى المسألة فى امدرمان بالسودان لشراء الاراضى حول منطقة السوق وانفقت على ذلك العملات الصعبة فى حين يتضور المسلمون جوعا فى اغلب بقاع السودان واثيوبيا وتشاد والبنجر فكيف بمن يقضى سحابة يومه بحثا عن لقمة العيش أن يلتفت إلى قضايا الإسلام ووحدة المسلمين .

لقد اغرى بهم الفقر المدقع المؤسسات الكنسية ووجه لهم نشاط المبشرين فرصت لهم الميزانيات الضخمة . حتى كانت ميزانية الكنيسة للعمل فى إفريقيا من اضخم الميزانيات التى تنفقها خارج بلادها .^(٣٨)

ثالثا : يعانى المسلمون فى إفريقيا من ذوبانهم فى المجتمعات التى حولهم وضياح هويتهم الثقافية فاصبحوا جزءا من المجتمعات الافريقية ينظرون إلى الحياة بنظرتها ويستحلون ما يستحل غيرهم واصبح سلوكهم فى الغالب الاعم من جنس سلوك غيرهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها .

لا شك أن هذه الحالة من الذوبان الثقافى قد تسبب فيها الجهل بامور الدين إذ أن التلاميذ الأفارقة لا يتلقون تعليماً نظامياً لتبصيرهم بامور دينهم . وعلى الرغم من انتشار المدارس القرآنية والكتاتيب فإن المعلمين الذين يقومون بالتدريس فيها محدودو المعلومات بمبادئ الإسلام وكل ما يقومون به هو تحفيظ التلاميذ أجزاء من القرآن وحروف الهجاء العربية والمولد النبوى وبعض الأحاديث التى حفظها عن شيوخه . وبما أن السياسات الرسمية التى تتبعها وزارات التعليم فى هذه الدول لاتتحمل عبء تدريس الاديان فانها تعهد بهذه المهمة إلى أهل الملل الدينية ويعجز المسلمون الأفارقة عن القيام بهذه المهمة لما اسلفنا من فقرهم وسوء احوالهم المعيشية وبالإضافة إلى ذلك فان هنالك مشاكل المعلم المدرب والمؤهل اذ لا يوجد معلمون مؤهلون ومدربون ليقوموا بتدريس الدين الإسلامى وبالطبع فان وزارات التربية والتعليم لاتقبل أن تضم إلى صفوفها معلمين غير مؤهلين .

كما توجد هناك مشاكل المناهج اذ ان بعض المعلمين الذين يقومون بتدريس هذه المادة يكررون انفسهم ويحصرونها فى فرع من فروع الفقه الإسلامى ، ويبقى أكثر المبادئ الإسلامية الأخرى بمعزل عن التلاميذ بالإضافة إلى مشاكل الكتاب الإسلامى المتوازن

الذى لا يوجد باللغات الإفريقية أو الأوربية حتى يستهدى طلاب العلم به .
وليس الجهل بامور الدين وحده هو المسئول عن حالة الذوبان الثقافى التى تعاني منها المجتمعات الإسلامية فى إفريقيا فهناك الجهود الكنسية التى تعمل على تحلل المجتمعات الإسلامية عمدا . ففى الساحل الشرقى لكينيا حيث يتركز المسلمون فى تلك المناطق عمدت الشركات الأوربية إلى إقامة الملاهى والمصايف السياحية . التى تشجع الموبقات وتساعد على فساد الشباب تحت مظلة انعاش السياحة .

رابعا: يعاني المسلمون فى إفريقيا من الفرقة والشتات وانقسامهم إلى طوائف وشيع وقبائل فالمجتمع الأفريقى مجتمع قبل فكثر من المسلمين الأفارقة يوالون قبائلهم اكثر من ولائهم على أساس الدين . ولقد اسهمت هذه الحمية الجاهلية العرقية فى تعميق الفرقة والشتات مما جعل الطريق مهذا لأعداء الامة الإسلامية المتربصين بها الدوائر لخدمة أغراضهم ومخططاتهم .

ومن أسباب الانقسام الواقع بين المسلمين فى المجتمعات الإفريقية الجهل بمبادئ الإسلام الأساسية فيقع الاختلاف حول قضايا هامشية ليس لها وزن فى مبادئ الإسلام ونلاحظ ذلك فى العديد من البلدان ومثال ذلك انقسام المسلمين فى يوغندا .^(٢٤) وترجع جذور هذا الانقسام إلى عام ١٩١٣ م . وهكذا تبدأ الانقسامات وتتطور من انقسام حول الزعامة إلى انقسام نظرى حول الفقه كالتقويم القمري والذكر وعدد الذين تقام بهم الجمعة وقد أدت هذه الانقسامات إلى ضعف المسلمين وأغرقت بهم الساسة فكانوا العوبة فى ايديهم وغالبا ما تذكى هذه الانقسامات جهات خارجية من بعض الدعاة الذين يأتون من الخارج فكل يسعى لنشر مذهبه الفقهي السياسي بغض النظر عن أثر ذلك على مجتمعات المسلمين ، مما يسهم فى زيادة الصراع المذهبي أو الطائفي الأمر الذى يؤدي إلى إضعاف المسلمين وتدخل الدولة فى شئونهم كما فى يوغندا وتنزانيا وجيبوتى .

خامسا: تعاني المجتمعات الإسلامية فى إفريقيا من ضعف انفصالها عن بقية أجزاء العالم الإسلامى فقد عملت الحكومات القائمة على إدارة شئون المسلمين فى إفريقيا على ضرب نوع من العزلة على هذه المجتمعات عندما أخذت تحد من حرية الحج . لقد كانت الرحلة السنوية التى يقوم بها الحجاج الأفارقة إلى بيت الله والاماكن المقدسة تهيم لهم أسباب الاتصال بالعالم الخارجى والالتقاء ببقية المسلمين وغالبا ما يقابل هؤلاء الحجاج فى بلادهم بالاحتفالات الشعبية وهم متشوقون الى ما ينقل إليهم من تجارب الحجاج فى الاراضى المقدسة . وقد اسهمت حكومات الدول الإسلامية فى العالم العربى وغيره فى هذه العزلة عندما عزفت عن إقامة مراكز ثقافية لها فى البلاد الإفريقية تعمل على عرض ثقافتها فى تلك البلاد^(٢٥) على غرار ما تفعل الدول الأوربية كإقامة المراكز الثقافية الأمريكية والفرنسية

والانجليزية والسوفيتية وغيرها. كما ساهم إعراض الدول العربية عن تقديم المنح التعليمية للمسلمين الأفارقة على إحكام هذه العزلة. فالناظر في اى من سجلات المنح في وزارات التربية الإفريقية يجد أن ما يقدمه العرب من منح لا يكاد يذكر مقارنة بما يقدمه غيرهم. ولنضرب مثلا باحدى الدول الافريقية المتصلة بالدول العربية بوشائج القربى والدم وهى زنجبار:

جدول يوضح توزيع المنح العربية لوزارة التربية بزنجبار في الثمانينات ١٩٨٠م - ١٩٨٦م^(١١)

البلد	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	المجموع
السودان	٤	١١	٩	٢٦	٢	١٠	١٠	٧٢
السعودية	٨	١٠	٧	٢	-	-	-	٢٧
مصر	١٠	١	-	٩	٣	٨	٥	٣١
اندونيسيا	-	-	٢	-	-	-	-	٢
المجموع								١٣٢

إذا قارنا هذه الأرقام بما يقدمه الاتحاد السوفيتي من منح لحكومة زنجبار نجد أنها تساوى عدد المنح السوفيتية لثلاثة أعوام متوالية فقط ٨١ - ٨٢ - ١٩٨٣م إذ أنه يقدم أربعين منحة في كل عام من هذه الأعوام الثلاثة. ومن ثم يتضح لنا كيف أن الدول العربية قد أسهمت في ضعف الصلات بينها وبين المجتمعات المسلمة في إفريقيا. ويجب أن نذكر في هذا المقام أن بعض الدول الإسلامية غير العربية تسعى لتوثيق صلاتها بالبلدان الإفريقية وبمجتمعات المسلمين بها كإيران مثلا فهي تقوم ببناء المراكز الثقافية في شرق إفريقيا وتقديم المنح في غرب إفريقيا وقد أثمرت هذه الجهود تعاطفا معها بين الشباب المتحمس للإسلام. لاسيما أن بعض مبادئ المذهب الشيعي تلقى قبولا في نفوسهم كزواج المتعة.

مقترحات للعلاج :

بما أن المشاكل التي ذكرناها معقدة وعميقة الجذور فلن يكون علاج هذه المشكلات

سهلا ولا سريعا لذا ينبغي أن نوطن انفسنا على جهد دعوب ومتصل لسنوات طويلة قادمة قبل أن نتوقع رؤية ثمرة هذا الجهد. ونسبة للظروف القاهرة التي تعيش فيها معظم الجماعات المسلمة في إفريقيا فانها عاجزة عن حل المشكلات التي تتعرض لها ولا بد للمسلمين عامة والمسلمين في العالم العربي خاصة من مد يد العون لآخوانهم في إفريقيا وانتشلهم من وهدة الضعف والعوز والجهل التي تحيط بهم ولا يجدون منها فكاكا. وتتقدم بمقترحات العلاج التالية:

أ/ انشاء ودعم المؤسسات التعليمية:

لاشك أن التعليم الذي جرم منه المسلمون في إفريقيا طيلة العهد الاستعماري هو مفتاح النهضة للاقليات المسلمة لانه ينمي الوعي ويقوى الشعور بالهوية الحضارية ويؤهل المرأ ليكون فاعلا في مجالات الحياة المختلفة. كما أن معظم الحكومات الإفريقية ترحب بالمساعدة في مجال التعليم وتسمح بقيام المؤسسات التعليمية الخاصة الامر الذي استفادت منه الكنيسة فائدة قصوى. لذا ينبغي اعطاء الاسبقية الاولى لإنشاء ودعم المؤسسات التعليمية التي تخدم أبناء المسلمين، ومن الأفضل أن تكون هذه المؤسسات التعليمية تسمح بالصعود إلى الجامعات والمعاهد العليا بتخصصاتها المختلفة حتى تجذب العناصر الذكية والفاعلة من أبناء المسلمين. وربما كان من الانسب ان تتبع المنهج القومي في البلد مع اهتمامها بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية وغرس الروح والقيم الإسلامية السلوكية. وليترك التخصص في العلوم الإسلامية إلى المرحلة الجامعية. ومن المفيد ان نذكر ان كثيرا من البلاد الإفريقية لا تعترف بالشهادات (الدينية) ولا توظف حملتها في الإدارات الحكومية.

كما أن التعليم الديني يعاني من ضعف في تأهيل المعلم وفي مستوى المنهج والكتاب المدرسي. ويصعب إصلاح التعليم الإسلامي في إفريقيا دون جهد في رفع مستوى المعلم وتأهيله حتى يؤدي دوره على الوجه المطلوب. وقد قامت بعض الجامعات السعودية والمركز الإسلامي الإفريقي بدور مقدر في هذا المجال باقامة الدورات التدريبية والتأهيلية للمعلمين.

ب/ توطيد العلاقات الثقافية بين الدول الإسلامية والبلاد الإفريقية:

استكمالا للنقطة السابقة ينبغي أن تنشأ علاقات ثقافية رسمية بين الدول الإسلامية والحكومات الإفريقية تسمح لها بانشاء المراكز الثقافية في البلاد الإفريقية، وتقديم المنح الدراسية المنتظمة لأبنه المسلمين في تلك البلاد، وتبادل البرامج الاذاعية والتلفزيونية والافلام السينمائية والتسجيلات الثقافية. وأن تمتد تلك العلاقات لتشمل تبادل الأساتذة وزيارات الطلاب.

فان مثل هذه العلاقات قمينة بتقوية الاواصر وتنمية التفاهم مع الجاليات المسلمة في إفريقيا. ويمكن لهذه العلاقات أن تعمل على توفير الكتاب الإسلامي باللغات المقروءة في البلاد الإفريقية فان غياب الكتاب الإسلامي باللغة المحلية أو الاجنبية من المكتبات الإفريقية ظاهرة واضحة للعيان، أن تقوم بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الإفريقية المحلية فعدد ترجمات المصحف بلغات افريقية تعد على اصابع اليد الواحدة في حين أن هناك مئات الترجمات للأناجيل، وتوزع هذه الأناجيل مئات الالاف من النسخ كل سنة مجاناً فمثلاً قبيلة كقبيلة الدينكا في جنوب السودان تعتبر من اعرق القبائل الإفريقية وأكبرها حجماً وحتى الآن لا يوجد مصحف واحد مترجم إلى لغتها.

ج/ الاغاثة والمساعدة عند الكوارث :

لا بد للعالم الإسلامي وهو يشهد أن إفريقيا تطحنها المجاعة والجفاف والتصحر ان يمد لها يد الاغاثة والمساعدة فان المؤسسات الكنسية استغلت هذه الفرصة وجمعت ملايين الدولارات من أهل الخير في الغرب وجاءت تنفقها في البلاد الإفريقية التي تأثرت بالجفاف والتصحر وكان طبيعياً أن تفتح أمامها الأبواب المغلقة فقبلت حكومات كاثيوبيا وموزمبيق تعادى النشاط التبشيري بوكالات الغوث التبشيرية بل نحن في شمال السودان المسلم سمحنا لهذه الوكالات الاجنبية بالعمل ونحن نعلم ما تضره لنا من اخطار.

وقد قامت الوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة واهلال الاحمر السعودي والاغاثة الكويتية ولجنة مسلمي إفريقيا بدور محمود في تقديم الاغاثة والعون للبلاد الإفريقية . لكن ينبغي أن تقوم بالاغاثة مؤسسات متخصصة مدربة تقوم بالتوزيع المباشر على المحتاجين من الأهالي لأن الاموال والمواد التي تسلم للحكومات لا تصل في كثير من الأحيان إلى المتضررين من المواطنين . ولا بد من اختيار عناصر إسلامية ملتزمة في إدارة وكالات الغوث حتى تضرب المثل بالقدوة والسلوك .

د/ العلاقات الاقتصادية والتجارية :

إن التأثير الثقافي والحضارى لا بد من دعمه بمصالح مشتركة مع الدول الإفريقية في شكل شركات استثمارية ومصارف مالية حتى تقوى العلاقات فلا تكون عرضة لتغير الحكومات ومزاج الحكام . وهذا ما نشهده في العلاقات بين البلاد الإفريقية والدول الاوربية فبالرغم من تغير الانظمة السياسية في إفريقيا نجد أن الارتباط يظل قائماً . ومن شأن العلاقات التجارية والاقتصادية أن تحسن من أوضاع المسلمين الاقتصادية بحكم أن العلاقات معهم ستكون اولى من غيرها . وقد برهنت الحوادث أن الاستثمار في اوربا أو امريكا ليس بمأمون العواقب بل أن قوة تلك الدول تجعلها أكثر مقدرة على البطش بأموال المسلمين كما فعلت أمريكا بالاموال الليبية واليرانية . ولو قامت العلاقات الاقتصادية على دراسات جيدة

وكانت إدارتها في أيد أمينة مقتدرة فان العائد منها قد يفوق ما سواها من البلاد..
هـ/ دراسات وبحوث عن المسلمين :

إن معظم الدراسات والكتب المكتوبة عن الاسلام والمسلمين في افريقيا كتبت بواسطة مبشرين كاسبنسر ترمجهام القس الكاثوليكي البريطاني أو بواسطة مستشرقين أوربيين ارادوها أداة لتسهيل الإدارة الاستعمارية وكل هذه الدراسات منحازة ضد الإسلام والمسلمين بصورة أو أخرى. ولأسف فقد ظلت هذه الدراسات هي المرجع الأساسي لاوضاع المسلمين في إفريقيا حتى في الجامعات الإسلامية لخلو الساحة من غيرها. ومن ثم فلا بد من تشجيع دراسات ميدانية يقوم بها المسلمون حتى نظمئن إلى صحتها ودقتها وحتى نؤسس عليها أى عمل في البلاد الإفريقية فانشاء مراكز المعلومات والبحوث وتشجيع هذه الدراسات في جامعات البلاد الإسلامية أمر ضرورى للغاية. ونجد أن الساسة أو الحكومات في البلاد المتقدمة تبنى قراراتها على الدراسات والمعلومات المتوفرة في مراكز البحوث بالجامعات.

كلمة أخيرة: إن العمل الإسلامى في إفريقيا يحتاج إلى تنسيق فاعل بين الدول والمؤسسات الإسلامية وعلى الرغم من الاعتراف بالخلافات القائمة بين البلاد الإسلامية فإن هناك مجالا واسعا للاتفاق والتنسيق فى النشاط الإسلامى الذى تقوم به فى إفريقيا. وقد بدأ المركز الإسلامى الإفريقي ومنظمة الدعوة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامى بالتعاون مع بعض المنظمات والهيئات الإسلامية فى إفريقيا مشروعاً لتنسيق العمل الإسلامى فى إفريقيا. بدأ هذا المشروع بجمع معلومات واحصاءات دقيقة وعميقة عن أحوال المسلمين فى القارة الإفريقية وسيتهى إن شاء الله بوضع استراتيجية متكاملة للعمل الإسلامى تشترك فيها المنظمات الإسلامية المانحة والجمعيات الإسلامية المحلية والشخصيات الإسلامية والقيادية فى البلاد الإفريقية وبعض أهل الخبرة والتخصص بشئون إفريقيا حتى تأتى ناضجة مكتملة باذن الله. والسودان بلد وسط بين إفريقيا والعالم العربى يجمع كثيرا من الصفات المشتركة بين العالمين وهو بهذا مؤهل لقيادة العمل الإسلامى فى إفريقيا.

خاتمة:

تمثل الجاليات العربية والإسلامية ذخرا وافرا لدعم العلاقات العربية والافريقية فى جميع أطر التعاون السياسى منها والثقافى والاقتصادى، إذ أنها تمثل رصيذا تاريخيا تفاعل عرقيا وثقافيا مع سكان القارة الإفريقية ونتج عن ذلك واقع جديد فى ثقافته وعنصره. لقد بدأ التكامل والانسجام بين العنصرين العربى والإفريقي قبل عشرين قرنا من الزمان واستمر تدفق

الجاليات العربية في تغذية القارة الإفريقية بدماء عربية جديدة انصهرت واندجت عرقيا واختلطت بالدماء الإفريقية .

يعتبر ظهور الإسلام في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي نقطة تحول في مسار العلاقات العربية الإفريقية فبعد أن كانت لهذه العلاقات أبعاد اقتصادية بحتة أضاف الإسلام بعدا ثقافيا جديدا حملته الجاليات التي هاجرت بعد ظهوره إلى الإفريقيين واختلط عندهم بموروثاتهم الثقافية وحدث ذلك نوعا من الموازة الثقافية التي تجمع بين الثقافتين فاستمروا مثلا في ذبح النذور ولكنها بدلا من أن تذبح استرضاء لارواح السلف أصبحت قرايين للصالحين فاعتمدوا على المعلم الذى يستسقى لهم (صلاة الاستسقاء) و (الموانجا) الذى يتنبأ لهم بالموسم الزراعى والامطار.

حاول الاستعمار الاوربي إبان سيطرته بذرروح الخلاف بين الجاليات العربية والإسلامية عن طريق استعمال الجاليات العربية كمخالب له في المجال الاقتصادى والسياسى ، وكانت النتيجة نجاح بعض هذه الجاليات في الاستجابة لدواعى الارث التاريخى للعلاقات العربية الإفريقية . فاحتفظت بعلاقات طيبة مع الإفريقيين وأدى ذلك إلى تعاطف الجالية العربية قبل الاستقلال مع نضال الأفارقة ضد الاستعمار البريطانى ودعوة رؤساء الجالية - محفوظ مكاوى - إلى تأييد الأفارقة وعدم الانتساب إلى الجيش الاستعمارى وقد كان هذا الموقف سببا في قناعة القيادات السياسية بالترابط العربى الإفريقى في كينيا وتنزانيا مما دفع الرئيس كينياتا بعد الاستقلال بأن جعل العربى بلى الإفريقى مباشرة في السلم الاجتماعى الجديد وتم بعد ذلك انتخاب العربى للبرلمان الكينى والتنزانى ولكن بنسب لا تتناسب وحجم الجاليات العربية والإسلامية هناك .

غير أن هذا الوضع يختلف عما كانت عليه الحال في دول غرب إفريقيا التي بها جاليات عربية لاسيما اللبنانيون فقد واجهت هذه الجاليات الكثير من الاتهامات بالتهريب والتهرب من الضرائب والارتباط بالنظام الاستعمارى والتجارة على أساس استغلالى أدت إلى إثارة الرأى العام ضدهم ومن ثم إلى انفجار أعمال عنف في وجوههم ففى ليبيريا أدى ارتفاع أسعار الارز (على أيام الرئيس تولبرت) إلى قيام جماهير غاضبة بنهب جميع المؤسسات التي يملكها لبنانيون هناك مما أوقع بهم ضررا بلغت قيمته ٤٠ مليوناً من الدولارات . كما أنها تعرضت في العام الماضى (١٩٩٠) لنفس الأحداث في أعقاب الحرب الاهلية التي شبت هناك بالاضافة لما تعرضت له في اعقاب الانقلاب العسكرى الذى اطاح بالرئيس نكروما حيث تصاعدت دعوى طرد التجار الأجانب والاعتداء على ممتلكاتهم وحدث الشيء نفسه بعد خلع الامبراطور السابق في إفريقيا الوسطى (بوكاسا) في ايلول عام ١٩٧٩م وحتى في

البلدان المستقرة سياسيا كساحل العاج والسنغال فان هناك نقمة على اللبنانيين ولا يتمتعون بشعبية إلا في بنين والكنغو، ويمكن مقارنة موقف الجالية اللبنانية في غرب إفريقيا بموقف الجالية الهندية في شرق إفريقيا ويمكن أن نشير إلى حدثين متماثلين قام بهما رئيسان إفريقيان تجاه الجاليتين. ففي زنجبار جمع الرئيس الزنجباري كرومي ١٩٦٤ - ١٩٧١ الهنود وخاطبهم قائلا: (أنكم جالية منعزلة مستغلة لا تساهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشيء حتى أنكم تستكبرون من تزويج بناتكم للأفارقة كما يفعل الغرب - (وكشف عن سواته قائلا انظروا هل لدينا ما يروع).

وفي غينيا كوناكري خاطب الرئيس السابق أحمد سيكتوري الجالية اللبنانية مشيرا إلى ضعف إسهامهم في الحياة الاجتماعية حتى إن الأفارقة لا يستفيدون من معرفتهم للإسلام واللغة العربية وذكر لي شاهد عيان بأن اللبنانيين قد شوهوا غداة ذلك اليوم في المساجد مسلميهم ومسيحيهم . فالجاليتان تتصفان بالانعزالية وعدم الاختلاط بالمجتمعات التي تعيش فيها على غير ما عليه الحال بالنسبة للجاليات اليمنية والعمانية والمغربية التي توجد في إفريقيا.

ولكى تصبح الجاليتان العربية والإسلامية فاعلتين في دعم العلاقات العربية الإفريقية لا بد أن يتم نوع من التعاون بينهما أولا وقبل كل شيء ولا بد أن تقلع الجاليات العربية في إفريقيا عن التقوقع وعدم الاندماج بالمصاهرة مع الإفريقيين وفي هذه الحالة وحدها يطمئن إليها الأفارقة ويتعاملون معها على قدم المساواة.

وغنى عن القول أهمية المصاهرة في نشر الثقافتين العربية والإسلامية فقد كانت هي المفتاح والباب الذي دخل به الإسلام إلى إفريقيا لقد تمكن الجيل الثاني من الجاليات العربية في إفريقيا من إدارة الحياة السياسية في إفريقيا واصبحوا حكاما لها عن طريق المصاهرة فالمجتمع الإفريقي مجتمع (امومي وخوئي) يرث فيه ابن البنت الملك عن الخال وقد فطن العرب لهذه الظاهرة ولم يستكبروا عن المصاهرة. الأمر الذي مهد الطريق أمام هذه العلاقات في الماضي.

والذي أود أن أؤكد في خاتمة البحث هو أن العلاقات العربية الإفريقية في المجال السياسي في العصر الحديث شهدت نوعاً من التحسن نسبة للتعاون الاقتصادي الذي تم بين دول ومؤسسات عربية وحكومات إفريقية ولكنها رجعت وانتكست بسبب ذهاب الحكومات التي تم دعمها اقتصاديا فاذا اريد لهذه العلاقات الاستمرارية والرسوخ فلا بد من ان يتحول الدعم الاقتصادي العربي إلى الشعوب والجاليات الإسلامية بدلا من الحكام الذين يحولون هذا الدعم في الغالب الأعم لمصالحهم الذاتية وليكن هذا الدعم في شكل مؤسسات ثقافية تخدم قضايا الجاليات الإسلامية والعربية في إفريقيا.

الهوامش

Zoe Marsh. East Africa through contemporary records, Cambridge University Press 1461 (1

P. 4.

- (٢) ابن هشام، السيرة النبوية الجزء الأول ط (١٩١٦) صفحات ٣٤٤ - ٣٥٤.
- (٣) ابن هشام، مصدر سابق صفحات ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ .
- (٤) ابن خلدون، العبر القاهرة ١٩٨٤ الجزء السادس ص ١١٠ .
- (٥) الطبري تاريخ الامم والملوك، الجزء السادس ص ١٧٠ - ١٩٧٢ .
- (٦) محي الدين الكلوي، السلوة في اخبار كلوة، ملحق بكتاب جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار.
- (٧) محمود محمد الحويري، ساحل شرق افريقيا من فجر الاستقلال حتى الغزو البرتغالي دار المعارف ١٩٨٩ ص ٢٢ .
- (٨) المغيرى، جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار، وزارة الثقافة بعمان. ملحق بهذا الكتاب السلوة في اخبار كلوة الف في القرن الرابع عشر للميلاد.
- (٩) البكرى (ابو عبدالله)، المغرب في ذكر افريقيا وبلاد المغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، راندون الجزائر ١٨٥٧م ص ١٧٤ .
- (١٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء السابع ص (٢١٠).
- (١١) يوسف فضل حسن: في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي، الدار السودانية ١٩٧٢م ص ١٤ .
- (١٢) المغيرى: جهينة الاخبار في تاريخ زنجبار مطبعة الباب الحلبي .
- (١٣) ترمغهام الإسلام في شرق إفريقيا ترجمة عاطف النواوي، الانجلو المصرية ١٩٧٣ . ص (٩٥).
- (١٤) Abdu kassozi, the spread of Islam in Uganda, Nairobi 1986 P. 155.
- (١٥) أحمد عيضة سالم، الجاليات العربية في افريقيا، العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية ص : ١٥٥ .
- (١٦) احمد عيضة سالم، مرجع سابق ص ١٥٦ .
- (١٧) المرجع نفسه ص ١٥٧ .
- (١٨) Cirling, F. K, The Acholi of Uganda (London 1960 colonial office - Research Studies No, 30, P - 120.)
- (١٩) Patherick, J. Egypt, The Sudan and the Central Africa (London Abl) P. 133.
- (٢٠) ابراهيم الزين صغيرون، دور العنصر السوداني المسلم في يونغندا ترجمة محمد أحمد هشام بحث تكميل ماجستير في الترجمة بجامعة الخرطوم ص (٣٧)

- (٢١) Schweinfurth G. Emin Pasha in Central Africa PP. 311. 313.
- (٢٢) الأميرة سالمة، مذكرات أميرة عربية، نقلًا عن البروفسير حريز الثقافة السواحيلية في شرق إفريقيا بيروت ١٩٨٩م.
- (٢٣) ترمنهام، الاسلام في شرق إفريقيا، مصدر سابق ص ١٠٥.
- (٢٤) يوسف روكز، إفريقيا السوداء سياسة وحضارة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص ١٢٠.
- (٢٥) يوسف روكز، مرجع سابق، ص ١١٩.
- (٣٦) المصدر نفسه، نفس الصفحة.
- (٢٧) نبيل حرفوش، الحضور اللبناني في العام، بيروت ١٩٧٤، الطبعة الثانية ص (٦٢).
- (٢٨) يوسف روكز، مرجع سابق ص ١١٩.
- (٢٩) عبدالمكك عودة (مناقشات) العرب وإفريقيا مركز دراسات الوحدة العربية ص ١٦٥.
- (٣٠) سمير أمين (مناقشات) العرب وإفريقيا ص ١٧٣.
- (٣١) فاطمة الجامعي (مناقشات) العرب وإفريقيا ص ١٧٦.
- (٣٢) مهدي ساتي : الثقافة العربية في السنغال، دار المركز الاسلامي للطباعة الخرطوم.
- (٣٣) لم يحظ أحد، بعضوية المجلس الابدع ثلاثة عشر عاما على قيام الثورة وذلك في عام ١٩٨٧م
- (٣٤) في وقت من الاوقات كان هناك وزيراً دولة وسفيراً ولكن لم يصل احد مركز وزير مركزى.
- (٣٥) راجع عبدالرحمن أحمد عثمان، مشاكل التعليم الإسلامى في إفريقيا، بحث قدم لندوة التعليم الإسلامى في إفريقيا، باعداد من المركز الإسلامى الإفريقى.
- (٣٦) عبدالرحمن أحمد عثمان، المرجع السابق ص ١٩
- (٣٧) الأمين عبدالكريم، الصراع الإسلامى المسيحى في اثيوبيا، مجلة دراسات إفريقية العدد الأول صادرة عن المركز الإسلامى الإفريقى ابريل ١٩٨٥.
- (٣٨) عبدالرحمن أحمد عثمان، تنصير قبيلة الفولانى، الخرطوم ١٩٩٠ ص (٩٧).
- (٣٩) Abdu Kasozi, the spread of islam in Uganda opcit. P. 110
- (٤٠) تنزانيا رابع دولة في إفريقيا السوداء من حيث عدد السكان لا توجد بها سفارة سعودية أو خليجية.
- (٤١) عبدالرحمن أحمد عثمان، مشاكل التعليم الإسلامى في إفريقيا، مرجع سابق ص ٢٣.